

مقدمة :

الحمد لله ربّ العالمين و الصّلاة و السّلام على
الرّسول الرّؤوف الرّحيم - صلى الله عليه و سلم -

أمّا بعد :

لقد تبنّت الجهات الرّسميّة مذهب الأشاعرة
في التّوحيد ، و خاصّة توحيد الأسماء و الصّفات و
فرضت ذلك على طلاب الجامعات و المعاهد
الإسلاميّة و كذا أئمة المساجد ، بل نشرت ذلك عبر
القنوات الفضائيّة موضّحة العقيدة بواسطة الزّردات
و الأضرحة و المزارات الموزّعة عبر التراب
الجزائريّ ، فظهر الشرك جليّاً لكل من يملك شيئاً

من العلم الشرعيّ ، و من هنا وجب علينا جميعا
العودة إلى التوحيد الذي كان عليه السلف الصّالح
كما فعل العلامة محمّد رشيد رضا - رحمه الله -
حيث (دعاه شغفه بكتاب الإحياء إلى اقتناء شرحه
الجليل للإمام المُرْتَضَى الحسينيّ ، فلمّا طالعه و
رأى طريقته الأثريّة في تخريج أحاديث الإحياء فتح
له باب الاشتغال بعلوم الحديث و كتب السنّة و
تخلّص ممّا في كتاب الإحياء من الخطأ الضّار و
هو قليل ، و لا سيّما عقيدة الجبر و التّأويلات
الأشعرية و الصّوفيّة و الغلوّ في الزّهد و بعض
العبادات المبتدعة) (١).

(١) آثار ابن باديس ٨٥/٣

فهل توحيد الأشعرية و صوفية زماننا هو
معتقد السلف الصالح و منهم الإمام مالك ؟ هذا ما
أريد توضيحه في رسالتنا الوجيزة ، مع بيان كيفية
انتشار مذهب الأشعرية في المغرب العربي .

كتبه : أبو عبد القدوس بدرالدين مناصرة



من هو الإمام مالك ؟

هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي القحطاني ، شيخ الإسلام ، و حجة الأمة ، و إمام دار الهجرة ، وُلِدَ عام ٩٣ هـج ، و تُوفي سنة ١٧٩ هـج .

لم يُعرَف عنه الرّحلة إلى طلب العلم ، بل تتلمذ على أيدي علماء بلده باستثناء من وجدهم في موسم الحج و العمرة .

له شيوخ كثيرون : من أبرزهم و أشهرهم

هؤلاء :

١ - أبو بكر عبد الله بن يزيد المعروف بابن
هَرْمُز المتوفى سنة ١٤٨ هـ ، روي عن مالك أنه
قال : كنت آتي ابن هرمز من بُكرة فما أخرج من
بيته حتى الليل ، و لازمه سبع سنوات أو ثمان ، و
قال الذهبيّ ثلاث عشرة سنة . [السير ٢١٦/٥]

٢ - ابن شهاب الزُّهريّ محمد بن مسلم بن
عبد الله المتوفى ١٢٤ هـ : الإلمم العَلَم [السير ٥٢٢/٤]

٣ - و من شيوخه نافع مولى عبد الله بن
عمر المتوفى ١١٩ هـ أو ١١٧ هـ ، و هو الذي
بعثه عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليعلّمهم القرآن
و السّنة ، و كان يُلقب بـ فقيه المدينة ، و كان مالك

يقول : " إذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر لا أبالي ألا أسمعه من أحد غيره " [السير ٣٨٩/٤]

٤ - و من شيوخه ربيعة الرأي ابن أبي عبد الرحمان فرّوخ ، الإمام ، مفتي المدينة و عالم الوقت ، و هو الذي قعد قاعدة عظيمة في العقيدة ، عندما سئل عن الاستواء ، فقال : " الكيف غير معقول و على الرسول البلاغ و علينا التصديق " .

٥ - و من شيوخه سعيد بن قيس بن عمرو : الإمام العلامة المجوّد عالم المدينة في زمانه ، و تلميذ الفقهاء السبعة . [السير ٦١٣/٤]

شيوخه كثير ، لكن هؤلاء أبرزهم ، و قد طلب العلم و هو ابن بضع عشرة سنة ، و تأهل للفتيا و جلس لها و هو ابن احدى و عشرين سنة ، و بعدُ صار عالم المدينة في زمانه بعد رسول الله و صاحبيه ، و زيد بن ثابت و عائشة ، ثم ابن عمر ثم سعيد بن المسيّب ، ثم الزهريّ ثم عبيد الله بن عمر ثم مالك .

أما عن تلاميذه : فهم كثيرون وأبرزهم :

١ - عبد الله بن وهب توفي سنة ١٩٧ هـ :
الإمام ، شيخ الإسلام ، الحافظ . [السير ٤١٢/٦]

- ٢ - عبد الرحمان بن قاسم توفي سنة ١٩١ هـ
عالم الدّيار المصريّة و مفتيها [السير ٣٦٧/٦].
- ٣ - أشهب بن عبد العزيز توفي ٢٠٤ هـ :
الإمام ، العلامة ، مفتي مصر [السير ٥٦٦/٦].
- ٤ - عبد الله بن عبد الحكم توفي ٢١٤ هـ :
الإمام الفقيه ، مفتي الدّيار المصريّة [السير ١٠٣/٧].
- ٥ - يحيى بن يحيى الليثيّ توفي ٢٣٤ هـ :
الإمام الكبير فقيه الأندلس [السير ٢٥٦/ ٧].
- فهؤلاء هم عُمدة المدرسة المالكية ، و أكثرهم
عُرف بالفقه و الحديث .

مؤلفاته :

ذكر صاحب ترتيب المدارك أن للإمام مالك
مؤلفات غير الموطأ :

- رسالة في القدر ، و رسالة في التَّجْوم و
منازل القمر ، رسالة إلى الليث بن سعد في إجماع
هل المدينة . [ترتيب المدارك ٩١/١ - ٩٤] .
- الموطأ : ألف الإمام مالك كتاب الموطأ
معتمدا على أحاديث الرّسول - صلى الله عليه و
سلم - و أقوال الصّحابة و التابعين ، و سبب تسمية
الكتاب بالموطأ لأنه وطأه للناس ، و بعضهم قال
لما ألفه عرضه على الشيوخ فواطؤوه أي : وافقوه
فسمّاه الموطأ .

و أخذ عن مالك الموطأ علماء من بقاع شتى :

١ - أهل المدينة : عبد الله بن قَعْنَب ، و غيره حوالي سبعة عشر راويا .

٢ - أهل مكة : الشافعيّ ، حفظ الموطأ بمكة و هو ابن عشر في تسع ليال ثم رحل إلى مالك .

٣ - أهل مصر : هم عشرة منهم : عبد الله بن وهب ، و عبد الرحمان بن قاسم .

٤ - أهل المغرب من الأندلس : هم ثلاثة عشر راويا منهم : يحيى بن يحيى الليثيّ .

٥ - أهل العراق : هم سبعة و عشرون راويا منهم : عبد الرّحمان بن مهدي البصريّ .

٦ - أهل القيروان : أسد بن الفرات ، و خلف
بن جرير بن فضالة .

٧ - من تونس : عليّ بن زيّاد ، و عيسى بن
شجرة .

٨ - أهل الشّام : منهم : عبد الأعلى بن
مُسهر الغسّانيّ ، و هم سبعة . [انظر الموطأ ،
تصحيح و ترقيم و تخريج و تعليق محمد فؤاد عبد
الباقي] .

أما عن الفتاوى: فقد جُمعت كتب أهمّها
المدوّنة ، و هي مجموعة رسائل تبلغ نحو ستّ و
ثلاثين ألف مسألة ، جمعها أسد بن الفرات الذي

وصفه الذهبيّ في [السير ١٠٥/٧] بالإمام العلامة
القاضي الأمير مُقَدَّم المجاهدين . ثم رحل إلى
العراق و جاء بفقّه أبي حنيفة من عند أبي يوسف و
محمد بن الحسن الشيبانيّ ، ثمّ رحل إلى مصر،
فسأل ابن القاسم أن يجيب فيها على مذهب الإمام
فأجابه و سُمّيَت بالأسديّة ، ثم حمل عنه سُحنون بن
سعيد و ارتحل بالأسديّة سنة ١٨٨ هج إلى ابن
القاسم و عرضها عليه ، و قال ابن القاسم فيها
أشياء لا بد أن تغير و أجاب عن أماكن و سمّى ذلك
المدوّنة بعدما رتبها و بوّبها على عكس ما كانت .
[محاضرات ملتقى الفكر الإسلاميّ السابع عشر
بقسنطينة الجزء الرابع ١٩٨٣م] .

همّته في طلب العلم :

عن مالك أنه قال : كنت آتي ابن هرمر من بكرة فما أخرج من بيته حتى الليل ، و لازمه سبع سنوات أو ثمان، و قال الذهبي ثلاث عشرة سنة .

قال مالك - رحمه الله - : (كنت آتي نافعا نصف النهار و تظلني الشجرة من الشمس إلى خروجه ، فإذا خرج أدعّه ساعة كأني لم أراه ثمّ أتعرّض له فأسلم عليه ، حتى إذا دخل البلاط أقول له : كيف قال ابن عمر في كذا و كذا ؟ فيجيبني ، ثمّ أجلس عنه ، و كان فيه جدّة ، و كنت آتي ابن هرمر بكرة فما أخرج من بيته حتى الليل) [ترتيب المدارك ١/١٣٢] .

و قال مالك - رحمه الله - : (شهدت العيد
فقلت : هذا اليوم يخلو فيه ابن شهاب ، فانصرفت
من المصلى حتى جلست على بابه ، فسمعتة يقول
لجاريته : انظري من على الباب ، فنظرت فسمعتها
تقول : مولاك الأشقر مالك ، قال : أدخله ، فدخلت
فقال : ما أراك بعد انصرفت إلى منزلك ؟ قلت : لا
قال : هل أكلت شيئا ؟ قلت : لا . قال : فاطعم ،
قلت : لا حاجة لي فيه ، قال : فما تريد ؟ قلت :
تحدثني ، فحدثني سبعة عشر حديثا) [ترتيب
المدارك ١/ ١٣٤] .

انظر إلى هذه الهمة في طلب العلم من الإمام
مالك - رحمه الله - ، أمّا اليوم فكثير من الشباب

متكاسل ، بل يحاول إقناع نفسه بأوهام منها : قلة
العلماء في البلد أو بُعْدُهم ، أو العمل من أجل لقمة
العيش ... هل هذه الأسباب مقنعة ؟

بيان مالك لكلمة التوحيد :

سئل مالك عن الكلام و التوحيد ، فقال :
(محال أن نظنّ بالنبيّ - صلى الله عليه و سلم -
أنه علم أمّته الاستتجاء ، و لم يعلمهم التوحيد ، و
التوحيد ما قاله النبيّ - صلى الله عليه و سلم - :
" أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله "
فما عُصم به الدّم و المال حقيقة التوحيد) [سير
أعلام النبلاء] .

فربّما يقول مبدع من صوفية أو حزبية : و
نحن كذلك نقول : لا إله إلا الله ، فيقال لهم : إذا
عرفت معناها تجنّبت نواقضها .

و إليك أقوال بعض علماء المالكية الموضّحة
لمعنى كلمة " لا إله إلا الله " :

١ - قال القرافي - رحمه الله - كما جاء في
[مواهب الجليل ٤٣٩/١] : (و ليس المراد من
التّفي نفي المعبود كيف كان ، لوجود المعبودين في
الوجود ، كالكواكب و الأصنام ، بل ثمّ صفة
مضمرة تقديره : لا معبود مستحق للعبادة إلا الله و
من لم يُضمّر هذه الصفة لزمه أن يكون تشهّده
كذبا) .

٢ - و قال التتائي محمد بن إبراهيم بن خليل المالكي ، و هو من كبار القضاة في الديار المصرية المتوفى سنة ٩٤٣ هـ في [تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة ١٥٣/١] عندما شرح قول ابن أبي زيد " و أن الله واحد " قال : (إذ معناه : لا معبود يستحق العبادة غيره ، و لا إله إلا هو) .

٣ - و قال أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى الرّفسي الفاسي زروق الفقيه المحدث المالكي المتوفى سنة ٨٩٩ هـ : (الإله أطلقه العرب على كل معبود بحق أو باطل ، فجاء الشرع فنفي ما سواه ، و هو : لا إله إلا الله ، أي : لا معبود بحق إلا الله ، لأنه لا مستحق للاتّصاف

بالكمالات سواء ([النوازل لأبي الحسن العلمي
[٢٩٧/٣] .

٤ - و قال شهاب الدين النفراوي أحمد بن
غنيمة بن سالم بن مَهَّنا الأزهرى المالكي المتوفى
سنة ١١٢٦ هـ و قيل سنة ١١٢٠ هـ : (أشهد أن
لا إله إلا الله ... أي : أتُحقَّق و أذعن أن لا معبود
بحقِّ سواء) [الفواكه الدواني ٢٢٧/٢] .

٥ - و قال ابن باديس - رحمه الله - في [
العقائد الإسلامية ص ٦٦] : (و من توحيده -
تعالى - توحيده في ألوهيته ، و هو العلم بآله -
تعالى - هو المستحق للعبادة وحده دون سواء ...)

هذه بعض الأقوال المالكية في معنى " لا إله إلا الله " ، و هي واضحة ساطعة حيث بينوا أن معناها هو : لا معبود بحق إلا الله ، و في المقابل نجد بعضهم يفسرها بقوله : لا معبود موجود إلا الله ، و هذا التفسير باطل لا يدلّ عليه أي دليل ، بل الدليل دلّ على المعنى الأوّل و هو قوله تعالى : " ذلك بأن الله هو الحق و أنّ ما تدعون من دونه هو الباطل و أن الله هو العليّ الكبير " [الحج ٦٠]

العلم بمعنى " لا إله إلا الله "

يرى فقهاء المالكية أنّ من شروط كلمة التوحيد العلم بمعناها ، و إلا لا تنفعه ، فمن هؤلاء العلماء الونشريسيّ أحمد بن يحيى بن محمد المالكيّ

المتوفى سنة ٩١٤ هـ الذي ذكر فتوى أحمد بن
عيسى بن أبي هلال فقيه الأندلس المتوفى سنة
٤٠٠ هـ حيث أفتى - رحمه الله - في من نطق
بكلمة التوحيد مع الجهل بمعناها فقال : (من نشأ
بين أظهر المسلمين ، و هو ينطق بكلمة التوحيد مع
شهادة الرسول - صلى الله عليه و سلم - ، و يصوم
و يصلي ، إلا أنه لا يعرف المعنى الذي انطوت
عليه الكلمة الكريمة لا يُضرب له في التوحيد
بسهم ، و لا يفوز منه بنصيب ، و لا ينسب إلى
إيمان و لا إسلام ، بل هو من جملة الهالكين ، و
زمرة الكافرين ، و حكمه حكم المجوس في جميع
أحكامه ، إلا في القتل ، فإنه لا يقتل إلا إذا امتنع

عن التعليم) [المعيار المعرب ٢ / ٣٨٣ نقلا عن جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة ص ١٤١ عبد الله بن فهد بن عبد الرحمان العرفجي و قد استفدت منه كثيرا] .

و قال مبارك الملي الجزائري المتوفى سنة ١٩٤٥م - رحمه الله - في [رسالة الشرك و مظاهره ص ٢٨-٢٩] : (مجرد النطق بالشهادتين لا يطرد عن ساحة القلب شبح الشرك ، و لا سيّما نطق من لقّنهما تقليدا عاديا خاليا من فهم معناهما . و إنما اعترف بهما بحكم الوسط ، لا باضطرار العلم ، و لم ينطق المشركون بالشهادتين لمّا دعاهم إليه الرسول ، و نبذاً لما يخالف دعوته ، و قد

أصابوا في هذا الرأي ، ثم اختاروا بعد ذلك الرأي
الناشئ عن العلم باللغة و معاني الكلام : التمسك بما
وجدوا عليه آباءهم و قد أخطؤوا في هذا الاختيار ،
و لو رأوا مجرد التشهد كافيا في رفع وصف
الشرك عنهم - مع بقائهم على عقائدهم الباطلة ، و
عوائدهم القبيحة - لأقرّوا و استراحوا) .

وقال ابن باديس المتوفى سنة ١٩٤٠م - رحمه الله
تعالى - في [العقائد الإسلامية] : (لا يكفي النطق
بكلمتي الشهادة إذا كان الناطق بهما لا يفهم أصل
معناها ،..... " أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا
ان لا إله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به ") .

بناء على هذا يمكن القول بأن علماء المالكية
يرون أن الجهل بمعنى " لا إله إلا الله " لا ينفع
قائلها إلا إذا علم ما يتكلم به .

حماية مالك للتوحيد بقاعدة سدّ الذرائع :

كما لا يخفى على طلاب العلم أن الإمام مالكا
- رحمه الله - ممن يُوظف - كثيرا - قاعدة سدّ
الذرائع ، سواء في العمليّات أم في العلميّات ، و
هذا الذي سنبينه ببعض الأدلة - إن شاء الله - .

١ - مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن
يسار أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :
(اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله

على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ([الموطأ
باب جامع الصلاة] .

قال ابن عبد البر المالكي - رحمه الله - في
شرحه للحديث : (وليس فيه حكم أكثر من التحذير
أن يصلّى إلى قبره وأن يتخذ مسجدا وفي ذلك أمر
بأن لا يعبد إلا الله وحده وإذا صنع من ذلك في قبره
فسائر آثاره أخرى بذلك) [الاستذكار ٣٦٠/٢] .

و قال الباجي المالكي - رحمه الله تعالى - في
[المنتقى ٤٢٦/١] : (دُعَاؤُهُ - صلى الله عليه
وسلم - أَنْ لَا يُجْعَلَ قَبْرُهُ وَتَنَا يُعْبَدُ تَوَاضِعًا وَالتَّزَامًا
لِلْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ - تَعَالَى - وَإِفْرَارًا بِالْعِبَادَةِ وَكَرَاهِيَّةَ أَنْ
يُشْرَكَ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ) .

و قال ابن عبد البر - رحمه الله - في [التمهيد
٤٥/٥] : (" اللهم لا تجعل قبوري وثنا يصلى إليه
ويسجد نحوه ويعبد فقد اشتد غضب الله على من
فعل ذلك " وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم
- يحذر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الأمم
قبله الذين صلّوا إلى قبور أنبيائهم واتخذوها قبلة
ومسجدا كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا
يسجدون إليها ويعظمونها وذلك الشرك الأكبر فكان
النبي - صلى الله عليه وسلم - يخبرهم بما في ذلك
من سخط الله وغضبه وأنه ممّا لا يرضاه خشية
عليهم امتثال طرقهم .

وكان - صلى الله عليه وسلم - يحبّ مخالفة
أهل الكتاب وسائر الكفار وكان يخاف على أمّته
اتباعهم ألا ترى إلى قوله - صلى الله عليه وسلم -
على جهة التعيير والتوبيخ : " لتتبعن سنن الذين
كانوا قبلكم حذو النعل بالنعل حتّى إنّ أحدهم لو
دخل جحر ضبّ لدخلتموه " .

قالت عائشة - رضي الله عنها - (قال رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - في مرضه الذي لم يقم
منه : " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور
أنبيائهم مساجد " . قالت : ولولا ذلك أبرز قبره
غير أنه خشي عليه أن يتخذ مسجداً) [التمهيد لابن
عبد البر ٤٦/٥] .

و قال القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي ،
ثم السبتي المالكي المتوفى سنة ٥٤٤ هـ - رحمه الله تعالى - في [إكمال المعلم شرح صحيح مسلم
٢٥١/٢] : (لأن هذا كان أصل عبادة الأصنام ،
فيما يُذكر ، كانوا قديما إذا مات فيهم نبي أو رجل
صالح صوّروا صورته وبنوا عليه مسجداً ليأنسوا
برؤية صورته ، ويتعظوا لمصيره ويعبدوا الله عنده
فمضت على ذلك أزمان ، وجاء بعدهم خلف رأوا
أفعالهم وعباداتهم عند تلك الصور ولم يفهموا
أغراضهم ، وزين لهم الشيطان أعمالهم ، وألقى
إليهم أنهم كانوا يعبدونها فعبدوها) .

و قال مالك - رحمه الله - كما جاء في المدونة
[١٨٩/١] : (أكره تجصيص القبور والبناء عليها
وهذه الحجارة التي يبنى عليها) .

وضَّح القرطبيّ أبو العباس أحمد بن عمر بن
إبراهيم القرطبيّ المصريّ المالكيّ - رحمه الله -
هذه الفتوى في [المُقَهَّم في شرح مسلم ٥٦٣/٤]
قائلا : (لأَنَّهُ تشبَّه بمن كان يُعَظَّم القبور و يعبدُها)

و قال القرطبيّ أبو عبد الله محمد بن أحمد
الأنصاريّ المالكيّ المتوفى سنة ٦٧١ هـ - رحمه
الله تعالى - في [الجامع لأحكام القرآن ٣٨٠/١٠] :
(وروى الأئمة عن أبي مرثد الغنوي قال سمعت
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " لا

تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها " لفظ مسلم.
أي لا تتخذوها قبلة فتصلّوا عليها أو إليها كما فعل
اليهود والنصارى ، فيؤدي إلى عبادة من فيها كما
كان السبب في عبادة الأصنام . فحذر النبي - صلى
الله عليه وسلم - عن مثل ذلك ، وسدّ الذرائع
المؤدية إلى ذلك فقال : " اشتد غضب الله على قوم
اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد " .

و قال الإمام مالك : (لا أرى أن يقف عند
قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعو ولكن يسلم
ويَمْضَى) . [الشفا بتعريف حقوق المصطفى
٨٥/٢ للقاضي عياض] .

قلت : هذا كله سدًا لذريعة الشرك ، أي :
حتى لا يُدعى الرّسول - عليه السّلام - و هو في
قبره من دون الله .

و قال القرطبيّ - رحمه الله - في الجامع
لأحكام القرآن ٢٩٣/١ [: (روى ابن ماجة في
سننه والبستيّ في صحيحه عن أبي واقد قال : لمّا
قدم معاذ بن جبل من الشّام سجد لرسول الله - صلى
الله عليه وسلم - ، فقال رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - : " ما هذا " فقال : يا رسول الله ، قدمت
الشّام فرأيتهم يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم ،
فأردت أن أفعل ذلك بك ، قال : " فلا تفعل فإنّي لو
أمرت شيئاً أن يسجد لشيء لأمرت المرأة أن تسجد

لزوجها لا تؤدّي المرأة حق ربّها حتى تؤدّي حق زوجها حتى لو سألتها نفسها وهي على قُتَب لم تمنعه " . لفظ البستي . ومعنى القُتَب أن العرب يعزّ عندهم وجود كرسي للولادة فيحملون نساءهم على القُتَب عند الولادة . وفي بعض طرق معاذ : ونهى عن السجود للبشر وأمر بالمصافحة .

قلت : وهذا السجود المنهيّ عنه قد اتخذه جهّال المتصوّفة عادة في سماعهم وعند دخولهم على مشايخهم واستغفارهم ، فيرى الواحد منهم إذا أخذ الحال بزعمه يسجد للأقدام لجهله سواء أكان للقبلة أم غيرها جهالة منه ، ضنّ سعيهم وخاب عملهم) .

ووضَّح المازريُّ أبو عبد الله ، محمَّد بن عليّ
بن عمر بن محمد التَّميميِّ المالكيِّ المتوفى سنة
٥٣٦ هـ - رحمه الله - الرِّقَّة المشروعة من
الممنوعة قائلًا : (و يُنهي عنها بالكلام الأعجميِّ و
ما لا يُعرف معناه لجواز أن يكون فيه كفر أو
إشراك) [إكمال المعلم ٩٨/٧ للقاضي عياض] .

كما سدَّ الذرائع المؤدِّيَّة إلى الشُّرك ابنُ الحاج
المالكيِّ - رحمه الله - في كتابه [المدخل ١٩١/١]
حيث قال : (و لذلك كره علماؤنا - رحمهم الله -
التمسُّح بجدار الكعبة ، أو بجدران المسجد ، أو
بالمصحف ، إلى غير ذلك ممَّا يُتبرَّك به سدًّا لهذا
الباب) .

بل اعتنى علماء المالكية بجانب توحيد العبادة
أيما اعتناء ، حيث قطعوا كل وسيلة توصل إلى
الشرك بالله ، و يظهر ذلك في تفسير الطرطوشي
- رحمه الله - لفعل الرسول - صلى الله عليه و
سلم - المتمثل في وضع جريد على كل من القبرين
ثم قال - عليه السلام - : " لعله أن يخفف عنهما ما
لم يبيسا " ، قال الطرطوشي المالكي بعد هذا : (إن
ذلك خاصّ بالنبيّ - صلى الله عليه و سلم - ببركة
يده المقدّسة الشريفة و علمه بما في القبور) [سراج
الملوك ١٣٤] .

و نجد الشاطبيّ المالكيّ - رحمه الله تعالى -
قد بيّن هذا الأمر بيانا شافيا ، يدلّ صراحة على سدّ

الدّرائع المفضية للشرك ، قال : (الصّحابة
- رضي الله عنهم - بعد موته - عليه السّلام - لم
يقع من أحد منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من
خلفه إذ لم يترك النّبّي - صلى الله عليه و سلم -
بعده في الأمّة أفضل من أبي بكر الصّدّيق - رضي
الله عنه - فهو كان خليفته ولم يُفعل به شيء من
ذلك ولا عمر - رضي الله عنهما - وهو كان في
الأمّة ثمّ كذلك عثمان ثمّ عليّ ثمّ سائر الصّحابة
الذين لا أحد أفضل منهم في الأمّة ثم لم يثبت لواحد
منهم من طريق صحيح معروف أن متبرّكا تبرّك
به على أحد تلك الوجوه أو نحوها بل اقتصروا
فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسّير التي

اتبعوا فيها النبي - صلى الله عليه و سلم - فهو إذاً
إجماع منهم على ترك تلك الأشياء .

أحدهما : أن يعتقدوا فيه الاختصاص وأن
مرتبة النبوة يسع فيها ذلك كله للقطع بوجود ما
التمسوا من البركة والخير لأنه - عليه السلام - كان
نورا كله في ظاهره وباطنه فمن التمس منه نورا
وجده على أي جهة التمسه بخلاف غيره من الأمة
- وإن حصل له من نور الاقتداء به والاهتداء بهديه
ما شاء الله - لا يبلغ مبلغه على حال توازيه في
مرتبته ولا تقاربه فصار هذا النوع مختصا به
كاختصاصه

الثاني : أن لا يعتقدوا الاختصاص ولكنهم تركوا ذلك من باب الدرائع خوفاً من أن يجعل ذلك سنة..... لأن العامة لا تقتصر في ذلك على حدّ بل تتجاوز فيه الحدود وتبالغ بجهلها في التماس البركة حتى يداخلها للمتبرّك به تعظيم يخرج به عن الحد، فربّما اعتقد في المتبرّك به ما ليس فيه وهذا التبرك هو أصل العبادة ولأجله قطع عمر - رضي الله عنه - الشجرة التي بويع تحتها رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بل هو كان أصل عبادة الأوثان في الأمم الخالية.....

ولقد حكى الفرغانيّ مذيّل تاريخ الطبريّ عن الحلاج أن أصحابه بالغوا في التبرّك به حتى كانوا

يَتَمَسَّحُونَ بِبَوْلِهِ وَيَتَبَخَّرُونَ بِعِذْرَتِهِ حَتَّى ادَّعَوْا فِيهِ
الْإِلَهِيَّةَ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ([الاعتصام ٢٩٣/١] .

قلت : هذا الذي حدّر منه الشاطبيّ وقع فيه
كثير من أتباع الطريقيّة في زماننا ، حتى جرّهم إلى
الشرك بالله ، و هو ما بيّنه الإمام ابن باديس و
الإبراهيميّ و غيرهما - رحمهم الله - .

بناءً على ما تقدّم يظهر جليّاً أن الإمام مالكا و
فقهاء المالكية يحاربون كل وسيلة تؤدّي إلى الشرك
بالله - تعالى - .

العمل بخبر الآحاد في توحيد الأسماء و

الصفات :

قال ابن عبد البرّ - رحمه الله - في [جامع بيان العلم و فضله ١/١١٧] : (ليس في الاعتقاد كله في صفات الله و أسمائه إلا ما جاء منصوصا في كتاب الله أو صحّ عن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أو أجمعت عليه الأمة و ما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له و لا يُناظر فيه) .

الإمام مالك و توحيد الأسماء و الصفات

الإمام مالك كغيره من السلف الصالح في
كيفية نشر توحيد الأسماء و الصفات ، حيث كان
من المتبعين لا من المبتدعين ، و يظهر ذلك في
أقواله التي نقلها خيرة طلابه ، و كذا الفتاوى التي
أصدرها الإمام تُبيّن القواعد التي استخدمها في بثّ
توحيد الأسماء و الصفات .

إثبات صفات الله حقيقة دون مجاز :

صفات الله سواء أكانت فعلية أو ذاتية فإنها
على الحقيقة دون المجاز ، لأنّ الأصل في الكلام
الحقيقة دون المجاز .

سؤال : هل تكلم مالك بالمجاز ؟

الجواب : قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى -
في [مجموع الفتاوى ٦٠/٧] بعدما أنكر تقسيم
الكلام إلى حقيقة و مجاز : (و بكلّ حال فهذا
التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون
الثلاثة ، لم يتكلم به أحد من الصّحابة و لا التابعين
لهم بإحسان و لا أحد من الأئمة المشهورين في
العلم كمالك و الثوريّ و الأوزاعيّ و أبي حنيفة و
الشافعيّ) .

سؤال : هل أنكر أحد من المالكيّة المجاز في
القرآن ؟

الجواب : قال ابن القيم - رحمه الله - : (و
كذلك أصحاب مالك مختلفون ، فكثير من متأخريهم

يثبت في القرآن مجازا ، و أما المتقدمون كابن وهب ، و أشهب ، و ابن القاسم فلا يُعرَف عنهم في ذلك لفظة واحدة) [مختصر الصواعق المرسلة ٢٤٢] .

و قال ابن تيمية - رحمه الله - في [مجموع الفتاوى ٦١/٧] : (و كذلك منع أن يكون في القرآن مجاز محمد بن حُوَيز منداد و غيره من المالكية ...) .

إثبات علو الله على العرش حقيقة :

قال ابن عبد البر- رحمه الله - المتوفى سنة ٤٦٣ هـ في [التمهيد] ، قال مالك بن أنس : (الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه مكان)

قال ابن عبد البر - رحمه الله - في [التمهيد]
(وقيل لمالك الرحمان على العرش استوى كيف
استوى ؟ فقال مالك - رحمه الله تعالى - استواؤه
معقول وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة
وأراك رجل سوء).

و جاء في رواية أخرى عن القاضي عياض
قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : (سَأَلَ رَجُلٌ مَالِكًا ، فَقَالَ :
" الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى " كَيْفَ اسْتَوَى ؟
فَسَكَتَ مَالِكٌ حَتَّى عَلَاهُ الرَّحَضَاءُ ، ثُمَّ قَالَ :
الِاسْتِوَاءُ مِنْهُ مَعْلُومٌ ، وَالْكَيفُ مِنْهُ غَيْرُ مَعْقُولٍ ،
وَالسُّؤَالُ عَنْ هَذَا بَدْعَةٌ ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ ، وَإِنِّي
لَأُظَنُّكَ ضَالًّا ، أُخْرِجُوه .

فَنَادَاهُ الرَّجُلُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتُ
عَنْهَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَالْعِرَاقِ ، فَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا
وُقِّفَ لِمَا وُقِّفْتَ لَهُ) [سير أعلام النبلاء] .

قلت : الإمام مالك أثبت أن الاستواء معقول
المعنى أي : نعلمه في لغة العرب ، لكن الكيفية
التي عليها المولى - جلّ و علا - لا يعلمها أحد .

إذاً هناك إجماع على أنّ صفات الله محمولة
على الحقيقة .

و نقل ابن القيم - رحمه الله - قول أبي عمرو
الطلمنكي المالكيّ - رحمه الله - في [اجتماع
الجيوش الإسلامية ص ٧٦] قائلاً : (قال في كتابه

في الأصول :... أجمع أهل السنة على أنه - تعالى -
استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز ثم
ساق بسنده عن مالك قوله : الله في السماء وعلمه
في كل مكان) .

هذا العالم المالكى نقل الإجماع على أن الله
- تعالى - مستو حقيقة على العرش .

و قال الإمام شيخ الحرم أبو ذرّ الهروي عبْدُ
بْنُ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدٍ المالكى المتوفى سنة ٤٣٤ هـج :
(فإن قيل : فهل تقولون : إنه في كل مكان ؟ قيل
معاذ الله بل هو مستو على عرشه كما أخبر في
كتابه) [سير أعلام النبلاء] .

استواء الله بذاته على العرش بالإجماع :

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله
الطَّلْمَنَكِيُّ المالكيّ المتوفى سنة ٤٢٩ هـ - رحمه
الله - : (وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن
معنى قوله - تعالى - " وهو معكم أينما كنتم " -
ونحو ذلك من القرآن بأن ذلك علمه وأن الله فوق
السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء)
[اجتماع الجيوش ص ٧٦]

نقل الطلمنكيّ المالكيّ الإجماع على أن الله
- تعالى - مستو بذاته على العرش .

و قال ابن أبي زيد القيرواني - رحمه الله -
في [الرسالة] : (و أنّه فوق عرشه المجيد بذاته
و هو في كل مكان بعلمه).

كما صرّح القاضي عبد الوهاب بن عليّ بن
نصر المالكي المتوفى سنة ٤٢٢ هـ قائلًا : (وهو
أنّه سُبْحَانَهُ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ بِذَاتِهِ). [ابن تيمية :
الفتاوى ٢٦٢/٣] .

وقال القاضي أبو بكر الطيّب الباقلانيّ
الأشعريّ المالكيّ المتوفى سنة ٤٠٣ هـ - رحمه
الله - في كتاب [التمهيد في أصول الدين] : (فإن
قال قائل : فهل تقولون إنّ الله في كل مكان. قيل
معاذ الله بل هو مستو على العرش كما أخبر في

كتابه فقال عز وجل " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
" وقال - تعالى - " إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ
الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ " وقال " أَلَمْ تَنُحِ فِي السَّمَاءِ أَنْ
يَحْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضُ " ولو كان في كل مكان لكان
في جوف الإنسان وفي فمه وفي الحشوش وفي
المواضع التي يرغب عن ذكرها ، - تعالى الله عن
ذلك - ، ولو كان في كل مكان لوجب أن يزيد
بزيادة الأمكنة إذا خلق منها ما لم يكن خلقه.
وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان واضحا ،
وأن يرغب إليه نحو الأرض وإلى وراء ظهورنا
وعن أيماننا وعن شمائلنا ، وهذا قد أجمع
المسلمون على خلافه وتخطئة قائله.)

و ذكر ابن القَيِّم - رحمه الله - قول أبي بكر
بن وهب المالكي - رحمه الله - شارح رسالة ابن
أبي زيد - رحمه الله - (وأما قوله " إنه فوق
عرشه المجيد بذاته " فإن معنى فوق وعلا عند
جميع العرب واحد وفي كتاب الله وسنة رسوله
تصديق ذلك ثم ساق الآيات في إثبات العلو وحديث
الجارية إلى أن قال وقد تأتي في لغة العرب بمعنى
فوق وعلى ذلك قوله - تعالى - " فامشوا في
مناكبها " يريد فوقها وعليها وكذلك قوله - تعالى -
" ولأصلبكم في جذوع النخل " يريد عليها وقال
تعالى " أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم
الأرض " الآيات قال أهل التأويل العالمون بلغة

العرب يريد فوقها وهو قول مالك ممّا فهمه عن
جماعة ممّن أدرك من التابعين ممّا فهموه عن
الصّحابة - رضي الله عنهم - ممّا فهموه عن النّبي
أنّ الله في السّماء بمعنى فوقها وعليها فلذلك قال
الشيخ أبو محمد : إته فوق عرشه المجيد بذاته ، ثم
إنه بيّن أن علوّه على عرشه إنما هو بذاته لأنّه
بائن عن جميع خلقه بلا كيف وهو في كل مكان من
الأمكنة المخلوقة بعلمه لا بذاته إذ لا تحويه الأماكن
لأنّه أعظم منها وقد كان ولا مكان ولم يحل بصفاته
عما كان إذ لا تجري عليه الأحوال لكن علوّه في
استوائه على عرشه هو عندنا بخلاف ما كان قبل
أن يستوي على العرش لأنّه قال ثم استوى على

العرش وثم أبدا لا يكون إلا لاستئناف فعل يصير
بينه وبين ما قبله فسحة إلى أن قال وقوله "على
العرش استوى" فإنما معناه عند أهل السنة على
غير الاستيلاء والقهر والغلبة والملك الذي ظنته
المعتزلة ومن قال بقولهم إنه بمعنى الاستيلاء
وبعضهم يقول إنه على المجاز دون الحقيقة قال
ويبين سوء تأويلهم في استوائه على عرشه على
غير ما تأولوه من الاستيلاء وغيره ما قد علمه أهل
العقول أنه لم يزل مستوليا على جميع مخلوقاته بعد
اختراعه لها وكان العرش وغيره في ذلك سواء فلا
معنى لتأويلهم بإفراد العرش بالاستواء الذي هو في
تأويلهم الفاسد استيلاء وملك وقهر وغلبة قال

وكذلك بين أيضا أنه على الحقيقة بقوله - عزّ و
جل - ومن أصدق من الله قيلا فلما رأى المنصفون
أفراد ذكره بالاستواء على عرشه بعد خلق سمواته
وأرضه وتخصيصه بصفة الاستواء علموا أنّ
الاستواء هنا غير الاستيلاء ونحوه فأقرّوا بصفة
الاستواء على عرشه وأنه على الحقيقة لا على
المجاز لأنه الصادق في قوله ووقفوا عن تكييف ذلك
وتمثله إذ ليس كمثل شيء من الأشياء ([ابن القيم
اجتماع الجيوش ١١٣] .

الإمام مالك و رؤية الله يوم القيامة :

مالك - رحمه الله - يثبت الصفات كما جاءت
بها الآثار و الأدلة كثيرة منها : قال الذهبي - رحمه

الله - في [سير أعلام النبلاء] : (قال القاضي
عياض في سيرة مالك : قال ابن نافع ، وأشهد
- وأحدهما يزيد على الآخر - : قلت : يا أبا عبد الله
" وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة " [القيامة :
٢٢ - ٢٣] ينظرون إلى الله ؟ قال : نعم ، بأعينهم
هاتين .

قلت : فإن قوماً يقولون : ناظرة : بمعنى
منظرة إلى الثواب . قال : بل تنظر إلى الله ، أما
سمعت قول موسى : " رب أرني أنظر إليك " [الأعراف : ١٤٣]
أترأه سأل محالاً ؟ قال الله : " لن
نراي " في الدنيا ، لأنها دار فناء ، فإذا صاروا إلى
دار البقاء ، نظروا بما يبقى إلى ما يبقى . قال

- تَعَالَى - : " كَلَّا ، إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
لَمَحْجُوبُونَ " [الْمُطَفِّفِينَ : ١٥] .

أما الأشاعرة فهم يثبتون الرؤية (لكنهم
يقولون : نظر لا إلى جهة . و لهذا قد تجد من
الأشاعرة من يثبت الرؤية ، بل هم يُثبتونها ، لكن
تنتبه إلى أنهم يختلفون في إثباتها عن أهل السنة و
الجماعة يجعلون الرؤية بالعينين إلى جهة العلو
حيث الله - جلّ وعلا - ، أما أولئك فيجعلونها رؤية
بقوة - غير الأبصار - يحدثها الله - جلّ وعلا - في
الأجسام يوم القيامة لا إلى جهة و هذا غير
مُتَصَوِّر) . [شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل
الرّشاد ص ٩٢ ، صالح الشيخ] .

كيف نترك قول الإمام مالك الذي يثبت رؤية
الله يوم القيامة بهاتين العينين ، و تتبع قول
الأشاعرة ؟ هل الأشاعرة أعلم بالعقيدة من مالك ؟

الإمام مالك و الصفات الذاتية :

سؤال : ما معنى الصفات الذاتية ؟

الجواب : قال ابن عثيمين - رحمه الله - في
[شرح العقيدة الواسطية] : (فالصفات الدلتية هي
التي لم يزل و لا يزال متصفا بها و هي نوعان :
● فالمعنوية ، مثل : الحياة و العلم ، القدرة و
الحكمة ...و ما أشبه ذلك ، و هذا على سبيل التمثيل
لا الحصر .

• و الخبريّة ، مثل : اليدين ، و الوجه ، و العينين...و أشبه ذلك ممّا سمّاه ، نظيره أبعاض و أجزاء لنا .)

من هذه الصفات كلام الله - تعالى - فالكلام صفة ذاتيّة باعتبار أصله ، و هو كلام حقيقيّ ، و بهذا قال الإمام مالك ، قال : (القرآن كلام الله ، و كلامه الله منه ، و ليس من الله شيء مخلوق) [السير الذهبيّ]

و هو قول الإمام ابن القاسم - رحمه الله - : (و الإيمان بأن الله كلم موسى بن عمران بصوت سمعه موسى من الله - تعالى - لا من غيره ، فمن قال غير هذا أو شكّ فقد كفر) [علماء المغرب و

مقاومتهم للبدع و التصوّف و القبورية و المواسم
ص ١٣٥ ، مصطفى باحو] .

و قال ابن أبي زيد القيروانيّ - رحمه الله - :
(وأن كلامه صفة من صفاته ليس بمخلوق فيبيد
ولا صفة لمخلوق فينفذ ، وأن الله - سبحانه - كلم
موسى - عليه الصّلاة والسّلام - بذاته وأسمعه
كلامه لا كلاما قام في غيره) [اجتماع الجيوش
لابن القيم]

و كذلك قال - رحمه الله تعالى - : (ويقبض
ويبسط ، وأن يديه مبسوطتان ، والأرض جميعا
قبضته يوم القيامة والسّماوات مطويّات بيمينه ،
وأن يديه غير نعمته في ذلك وفي قوله - سبحانه -

" مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ " [اجتماع
الجوش : ابن القيم] .

انظر - رحمك الله - إلى هذا العالم الجليل
حيث أثبت اليد حقيقة و لم يؤوّل ، لأنّ الأصل في
الكلام الحقيقة لا المجاز، كما أنّ الأصل في الكلام
التبائن لا الترادف ، أي : ليس من مرادفات اليد
النعمة .

و رَدَّ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ خَلْفٍ بْنِ بَطَالٍ
الْبَكْرِيُّ، الْفَرَطِيُّ ، المالكِيّ المتوفى سنة ٤٤٩ هـ
- رحمه الله - على من أوّل صفة اليدين بالقدرة أو
التّعمة قائلاً : (ويكفي في الرّدّ على من زعم أنهما
بمعنى القدرة أنهم أجمعوا على أن له قدرة واحدة

في قول المثبتة ولا قدرة له في قول التّفاة لأنهم يقولون إله قادر لذاته ويدلّ على أنّ اليدين ليستا بمعنى القدرة، إنّ في قوله - تعالى- لإبليس " ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي " إشارة إلى المعنى الذي أوجب السّجود فلو كانت اليد بمعنى القدرة لم يكن بين آدم وإبليس فرق لتشاركهما فيما خلق كل منهما به وهي قدرته ولقال إبليس وأيّ فضيلة له عليّ وأنا خلقتني بقدرتك كما خلّفته بقدرتك فلما قال خلّقتني من نار وخلقته من طين دلّ على اختصاص آدم بأن الله خلقه بيديه قال ولا جائز أن يراد باليدين النعمتان لاستحالة خلق المخلوق بمخلوق لأن النعم مخلوقة ولا يلزم من كونهما صفتي ذات أن

يكونا جارحتين) [فتح الباري ٤٣٦/١٣ لابن حجر
العسقلاني] .

و هذا ابنُ الباقِلَانِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الطَّيِّبِ
البَصْرِيُّ المالكيُّ المتوفى سنة ٤٠٣ هـ ، قال
- رحمه الله - : (فإن قال قائل : ففصلوا لي صفات
ذاته من صفات أفعاله لأعرف ذلك ، قيل له :
صفات ذاته هي التي لم يزل ولا يزال موصوفا
بها ، وهي الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر
والكلام والارادة والبقاء والوجه واليدان والعينان
والغضب والرضى (١) ... ؛ و صفات فعله هي الخلق
والرزق والعدل والإحسان والتفضل والإنعام
(١) أَوَّلُ الغضب و الرضى بالإرادة .

والثواب والعقاب والحشر والنشر(١)، وكل
صفة كان موجودا قبل فعله لها ([التمهيد للباقلاني
ص ٢٦٢ - ٢٦٣] .

و على هذا أئمة المالكية منهم :

أبو ذرّ الهرويّ عَبْدُ بن أحمد المالكيّ المتوفّى
سنة ٤٣٤ هـ - رحمه الله - قال عنه الذهبيّ في
[سيره] : (أَلَفَ كِتَابًا سَمَّاهُ : " الإِبَانَةُ " ، يَقُولُ فِيهِ
فَإِنْ قِيلَ : فَمَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ وَجْهًا وَيدًا ؟ قَالَ
قَوْلُهُ : " وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ " [الرَّحْمَن ٢٧] وقوله
" مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيدَيَّ " [ص: ٧٥]
فَأَثَبْتَ تَعَالَى لِنَفْسِهِ وَجْهًا وَيدًا.

(١) يرى أَنَّ الصِّفَاتِ الفَعْلِيَّةَ لا تتجدد آحادها (انظر التمهيد ٢١٨
)، فيكون بذلك مخالفًا للإجماع الآتي - إن شاء الله - .

إلى أن قال : فإن قيل : فهل تقولون : إنه في كل مكان ؟ قيل : معاذ الله بل هو مُستَوٍ على عرشه كما أخبر في كتابه... إلى أن قال : وصفت ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها : الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والوجه واليدان والعيان والغضب والرضى).

الإجماع على إثبات الصفات حقيقة :

قال ابن عبد البر - رحمه الله تعالى - في [التمهيد] : (أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن و السنة و الإيمان بها و حملها على الحقيقة لا على المجاز) . و هنا خالف الأشاعرة و منهم ابن فورك فإنه قال : (اعلم

أنّ كلام الله - تعالى - ليس بحرف ولا صوت)
[موقف ابن تيمية من الأشاعرة] .

لم يُثبتوا كلام الله حقيقة بل أولوا ، وهذا ضدّ
الإجماع الذي يُحرّم التّأويل، وسيأتي - إن شاء الله-

بل منهج السّلف الصّالح هو التسليم لنصوص
الكتاب و السّنة في إثبات المعنى و تفويض الكيف،
و هو الذي عليه أبو الحسن الأشعريّ و تبعه
الباقلانيّ و ابن فورك و غيرهم من العلماء في
إثبات الصفات الخبرية دون المتعلقة بالمشيئة
[انظر سير أعلام النبلاء للذهبيّ ٥٥٨/١٧ ، و
موقف ابن تيمية من الأشاعرة] .

الإجماع على تحريم التّأويل في الصّفات :

إليك ما ذكره ابن تيمية - رحمه الله تعالى -
في [درء تعارض النقل و العقل ١/٢٤١] : (و
الأشعريّ وأئمة أصحابه كأبي الحسن الطبريّ و
أبي عبد الله بن مجاهد الباهليّ و القاضي أبي بكر
متفقون على إثبات الصفات الخبرية التي ذكرت
في القرآن كالاستواء والوجه واليد وإبطال تأويلها
وليس له في ذلك قولان أصلاً ولم يذكر أحد عن
الأشعريّ في ذلك قولين أصلاً بل جميع من يحكي
المقالات من أتباعه وغيرهم يذكر أن ذلك قوله
ولكن لأتباعه في ذلك قولان ، وأول من اشتهر عنه
نفيها أبو المعالي الجوينيّ فإنه نفى الصفات الخبريّة
وله في تأويلها ففي الإرشاد أولها ثم إنه في

" الرسالة النظامية " رجع عن ذلك وحرّم التأويل ،
وبين إجماع السلف على تحريم التأويل واستدل
بإجماعهم على أن التأويل محرم ليس بواجب ولا
جائز فصار من سلك طريقته ينفي الصفات الخبرية
ولهم في التأويل قولان ، وأما الأشعري وأئمة
أصحابه فإنهم مثبتون لها يردّون على من ينفيها أو
يقف فيها فضلا عن يتأولها) .

الإجماع على إثبات الصفات الفعلية :

قبل نقل الإجماع ، ما معنى الصفات الفعلية ؟

الجواب : قال ابن عثيمين - رحمه الله - في

[شرح العقيدة الواسطية] : (و الصفات الفعلية

هي الصفات المتعلقة بمشيئته ، و هي نوعان :

• صفات لها سبب معلوم ، مثل : الرّضى ،
فالله - عزّوجلّ - إذا وجد سبب الرّضى ، رضى ،
كما قال - تعالى - : " إن تكفروا فإنّ الله غنيّ عنكم
و لا يرضى لعباده الكفر و إن تشكروا يرضه لكم "
[الزمر ٧]

• و صفات ليس لها سبب معلوم ، مثل :
التّزول إلى السّماء الدّنيا حين يبقى ثلث الليل
الآخر)

من هذه الأمّة كثير من فقهاء المالكيّة الذين
تشبّعوا بالتوحيد الخالص الصّحيح الخالي من
الشّوائب ، حيث سدّوا كل منفذ يؤدّي إلى الشّرك ،
كما أثبتوا الصفات الذاتيّة و الفعلية بالإجماع فمن
هولاء :

ابن أبي زيد القيروانيّ المُلقب بمالك الصغير
المتوفى سنة ٤٨٦ هـ ، قال - رحمه الله - :
(فصل فيما اجتمعت عليه الأمة من أمور الديانة
من السنن التي خلفها بدعة وضلالة : أن الله
- سبحانه وتعالى اسمه - ؛ له الأسماء الحسنى
والصفات العلى لم يزل بجميع صفاته وهو
- سبحانه - موصوف بأنّ له علما وقدرة وإرادة
ومشيئة أحاط علما بجميع ما بدا قبل كونه وفطر
الأشياء بإرادته إتما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له
كن فيكون، وأن كلامه صفة من صفاته ليس
بمخلوق فيبيد ولا صفة لمخلوق فينفذ ، وأن الله
- سبحانه - كلم موسى - عليه الصّلاة والسّلام -

بذاته وأسمعه كلامه لا كلاما قام في غيره ، وأنه
يسمع ويرى ويقبض ويبسط ، وأن يديه
مبسوطتان، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة
والسّماوات مطويات بيمينه ، وأن يديه غير نعمته
في ذلك وفي قوله - سبحانه - " مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ
لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي "

وأنه يجيء يوم القيامة بعد أن لم يكن جائيا
والملك صفا صفا لعرض الأمم وحسابها وعقابها
وثوابها فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، وأنه
يرضى ويحبّ التّوابين ويسخط على من كفر به
ويغضب، فلا يقوم شيء لغضبه ، وأنه فوق سمواته
على عرشه دون أرضه ، وأنه في كل مكان بعلمه،

وَأَنَّ اللَّهَ - سبحانه - كرسيا كما قال جل جلاله
" وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ " وكما جاءت
به الأحاديث أَنَّ اللَّهَ - سبحانه - يضع كرسيه يوم
القيامة لفصل القضاء "..... وكل ما قدمنا
ذكره فهو قول أهل السنة وأئمة الناس في الفقه
والحديث على ما بيّناه ، وكله قول مالك ، فمنه
منصوص من قوله ، ومنه معلوم من مذهبه (
[اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم] .

إِذَا فَقَدْ نَقَلَ الإِجْمَاعَ عَلَى إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ
الْفَعْلِيَةِ لِلَّهِ - تعالى - ابْنُ أَبِي زَيْدٍ الْقَيَّرَوَانِيُّ .

وَقَالَ الْمُقْرِيزِيُّ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ عَبْدُ الْقَادِرِ أَبُو
الْعَبَّاسِ الْحُسَيْنِيُّ الْمَوْرَخُ الْمَصْرِيُّ ، الْمَتَوَقَّى سَنَةَ

٨٤٥ هـ : (و لم يرد في دواوين الحديث و آثار
السلف أن صحابيًا سأل الرسول - صلى الله عليه و
سلم - عن صفات الله وإنما اتفقت كلمة الجميع
على إثبات صفات أزلية لله ... ثم جاء الجهم بن
صفوان بعد عصر الصحابة من بلاد المشرق ... و
بعث الشكوك في نفوس المسلمين) [الخطط
٣٥٦/٢ ، ٣٥٧] .

سؤال : كيف انتشرت العقيدة الأشعرية دون
السلفية ؟

الجواب : انتشرت الأشعرية من طريقين :
الطريق الأول : إلى منتصف القرن السادس
هجري أي : عند نهاية عهد المرابطين - تقريباً -

كان سكان المغرب على العقيدة السلفيّة باستثناء
عهد الإباضيين و العبيديين إلى أن قدم عليهم بعض
العلماء حاملين العقيدة الأشعرية فسارعوا في
نشرها و الدّفاع عنها و من بين هؤلاء العلماء :

١ - أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن حاتم
الأذريّ المتوفى سنة ٤٢٣ هـ ، حيث أرسله
الباقلانيّ إلى القيروان و بلاد المغرب ، فتبعه كثير
من أهل العلم .

٢ - إبراهيم بن عبد الله الرّبيريّ المعروف
بالقلانسيّ المتوفى سنة ٣٥٩ هـ ، ذكر عنه
البرزليّ أبو القاسم بن أحمد بن محمد البلويّ

القيروانيّ المالكيّ المتوفى سنة ٨٤٤ هـ أنه كان
من مشايخ الأشعرية .

٣ - أبو ميمونة درّاس بن إسماعيل الفاسيّ
المالكيّ المتوفى سنة ٣٥٧ هـ ، فهو أوّل من أدخل
المدوّنة إلى فاس .

٤ - أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي
حاج الفاسيّ الغفجوميّ الزّناتيّ المتوفى سنة
٤٣٠ هـ ، أخذ علم العقليّات عن الباقلانيّ .

٥ - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عتيق
بن أبي نصر هبة الله بن عليّ بن مالك التميميّ
المتكلم الأشعريّ المعروف بابن كُدَيّة القيروانيّ
المتوفى سنة ٥١٢ هـ .

و هناك علماء آخرون أسهموا في نشر
المذهب الأشعريّ [انظر الأسماء الخمسة الماضية
في كتاب : " دخول الأشعرية في المغرب...
الدكتور : إبراهيم التهامي "] .

الطريق الثاني : انتشرت العقيدة الأشعرية
عن طريق ابن تومرت أبي عبد الله محمد بن عبد
الله المتوفى سنة ٥٢٤ هـ ، حيث رحل إلى
المشرق و اجتمع بالكيّا أبي الحسن عليّ بن محمّد
بن عليّ الهراسيّ المتوفى سنة ٥٠٤ هـ ، و أبي
حامد الغزاليّ المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ، و أبي بكر
الطرطوشيّ محمّد بن الوليد بن خلف المتوفى سنة
٥٢٠ هـ ، فحصل طرفا من العلم ثم عاد إلى

المغرب متكلمًا بارعا ، حيث استطاع كسر حُجج
المرابطين لأنهم كانوا مشغولين بعلم الكتاب و السنة
بعيدين عن علم الكلام ، بل كان علم الكلام محرّما
عندهم ، ، و تمكن من أن يجمع حوله أتباعا ، ثم
ألف لهم كتابا سمّاه المرشدة ، فيه طوامّ و مهلكات
فمن رغب عنه ضُرب بالسَّياط ، و ربّما قُتِل ، و
سمّى أتباعه بالموحّدين بعدما ادّعى أنه المهديّ
واستعمل في ذلك حِيلا قبيحة بل سفك الدماء البريئة
ليُظهر أنه المهديّ منها : أنه كان يحفر قبورا ثم
يتفق مع بعض المُقرّبين منه فيدفنهم فيها و يترك
لهم منفذا للتنقّس ، ثم يطلب منهم الجواب بإثبات
المهديّة له ، و هذا بعد أن يأتي التّاس لطرح السّؤال

على أهل المقابر ، فيجيب المقبورون بأنّ ابن
تومرت هو المهديّ الذي بشرّ به الرّسول - عليه
السّلام - و بعد رجوع النّاس إلى رحالهم ، يقوم ابن
تومرت بهدّم تلك القبور على أصحابها حتّى يموت
السّرّ ، ثم شكّل جيشا خرج به عن طاعة المرابطين
فكانت بينهم حروب عظيمة ، و بعد موته ببيع عبد
المؤمن بن عليّ بن علويّ الكوميّ القيسيّ المغربيّ
المتوقّى سنة ٥٥٨ هـ بالخلافة فقضى على بقايا
المرابطين الذين كانوا على توحيد السّلف الصّالح ،
ثم انتشر التّوحيد المبنيّ على التّأويل و التّعطيل
بقوّة السّلاح] انظر ترجمة ابن تومرت في السير
للذهبيّ ، و مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٧٧/١١ ،

و تاريخ الجزائر القديم و الحديث ٧١١/٢ مبارك
الميلي] .

سؤال : هل الأشاعرة من أهل البدع و
الأهواء ؟

الجواب : قال مالك - رحمه الله - : لا تجوز
شهادة أهل البدع وأهل الأهواء . قال : أبو عبد الله
محمد بن أحمد بن إسحاق بن خُويز منداد المصريّ
المالكيّ المتوفى سنة ٣٩٠ هـ - رحمه الله - :
(أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل
الكلام فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع
أشعريّا كان أو غير أشعريّ ولا تقبل له شهادة في
الإسلام أبداً ويُهجر ويؤدّب على بدعته فإن تمادى

عليها استُتيب منها) [ابن عبد البر : جامع بيان العلم و فضله ١٩٥/٢] .

هذا الكلام لم يُعجب سليمان بن خلف بن سعد الأندلسي ، القرطبي ، أبا الوليد الباجي المتوفى سنة ٤٧٤ هـ - رحمه الله - حيث طعن فيه و تكلم بلغة الأشاعرة المخالفة لما عليه السلف الصالح . [انظر ترتيب المدارك للقاضي عياض في ترجمة خويز منداد] .

و صلى الله و سلم و بارك على نبيينا محمد .

كتبه : أبو عبد القدوس بدرالدين مناصرة .

فهرس

٠٦	من هو الإمام مالك ؟
٠٦	شيوخ الإمام .
٠٩	تلاميذ الإمام .
١١	مؤلفات الإمام .
١٣	فتاوى الإمام .
١٥	هَمَّتْهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ .
١٧	بيان مالك لكلمة التوحيد .
٢٢	العلم بمعنى " لا إله إلا الله " .
٢٥	حماية مالك للتوحيد بقاعدة سدّ الذرائع .
٤٠	مالك و توحيد الأسماء و الصفات .
٤١	أولا : إثبات صفات الله حقيقة .
٤١	سؤال : هل تكلم مالك بالمجاز ؟
٤٢	سؤال : هل أنكر أحد من المالكية المجاز ؟
٤٣	إثبات علوّ الله على العرش حقيقة .
٤٧	استواء الله بذاته على العرش بالإجماع .
٥٤	ثانيا : العمل بخبر الأحاد في توحيد..
٥٥	ثالثا : مالك و رؤية الله يوم القيامة .
٥٦	سؤال : ما معنى الصفات الذاتية ؟
٦٤	الإجماع على إثبات الصفات الخبرية .
٦٦	خامسا : الإجماع على إثبات الصفات الفعلية .
٦٦	سؤال : ما معنى الصفات الفعلية ؟
٧١	سؤال : كيف انتشرت العقيدة الأشعرية ؟
٧٢	سؤال : هل الأشعرية من أهل البدع ؟

صدر للمؤلف :

- ٠١ الأحكام المالية عند فقهاء المالكية .
- ٠٢ معرفة ما جاء به الرسول بشرح ثلاثة الأصول .
- ٠٣ أين هي أخلاقنا ؟
- ٠٤ كيف تكون طيبا .
- ٠٥ كم بقي من عمرك ؟
- ٠٦ منزلة العلماء .
- ٠٧ محبة النبي - صلى الله عليه و سلم -
- ٠٨ هل أكملت إيمانك ؟
- ٠٩ هل اشتغلت بما يعنيك ؟
- ١٠ تزكية النفوس على المنهج الرباني ...
- ١١ دفاع عن السلفية (الرد على الدكتور عيساوي) .
- ١٢ حكم تقبيل اليد بين التبرك و الشرك .
- ١٣ بناء الكنائس في الجزائر أللنصارى أم لأهل الردة .
- ١٤ التبيان في حكم الانتخاب و البرلمان .
- ١٥ جهود الإمام مالك في نشر التوحيد .

